

ركن مختار الوكيل

معاريف الدائرة العربية العام

بين الصحافة والأدب

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



بَيْنَ الصَّخَافَةِ وَالْأَدَبِ

للدكتور مختار الوكيل

نص المحاضرة التي أقيمت في سلسلة محاضرات

« جماعة الأدب الحديث »

في مساء الثلاثاء ١٢ جمادى الآخرة ١٣٨٣ الموافق ١٦ فبراير سنة ١٩٥٤





بسم الله الرحمن الرحيم

بين الصحافة والأدب

غمرني إخواني الكرام بفضلهم العميم عندما اقترحوا علي أن يكون حديثي الليلة « بين الصحافة والأدب ». وهو لعمر الحق موضوع عميق عويص متشعب المسالك والأطراف : متعدد المرامي والانجاسات ، وتناوله ليس بالأمر الهين اليسير . ولعلمهم قد اختاروا هذا الموضوع بالذات ، لأنني ساهمت بنصيب الضئيل المتواضع في الحياة الأدبية ، ومارست الصحافة هاويا ومحترفا ، سننوات عديدة . ولا ريب أن هذا منهم حسن ظن أرجو أن أكون عنده ، وألا أخيب رجاءهم فيما أنا بصدد من الحديث .

ولقد صدعت بما اقترح علي من عنوان للحديث ، غير محاول فيه تعديلا أو تبديلا . فإن أخطأتني التوفيق فيما أنا بسبيله فمذبري إليهم وإليكم أنني أمرت فامثلت وأطعت ، وحاولت جهد الطاقة أن أتناول الموضوع على النحو اللائق في حديث سهل ميسور بعيد عن العنت والغموض .

كلنا نعرف أن الأدب هو ذلك الفن الرفيع النبيل الذي امتازت به البشرية منذ فجر الحضارة . هو وأخوته من الفنون الأخرى من رسم وموسيقى وتمثيل ، بل لقد عرفته البشرية وسعدت به ، بوصفه تعبيراً جميلاً صادقاً ، سواء أكان شعراً أم نثراً ، بعد أن اهتمت إلى الكتابة بفترة زمنية وجيزة . أجل ، كان اهتمام الإنسان إلى الكتابة في عصر ما قبل التاريخ ، ثم عرف الأدب في أعقاب

ذلك : عرفه في الاياذة والأوديسا ، وفي مآسى إسخيلوس ، وسوفوكليس وأوريبيديس ، وفي مهازل أرسطوفانيس وخرافات إيسوبوس ، وعرفه في شعر دانتى وأبى العلاء والمتنبى والبحترى وشكسبير وميلتون وجيته وشيللى وكيثس وفي آثار فولتير وجان جاك روسو وروائع أحمد شوقي والمنفلوطى و خليل مطران وبرناردشو وفي قصص تولستوى وإميل زولا وجازورنى ، وفي آثار العشرات ، بل والمئات ، من غول الكتاب والشعراء والقصاصين ، ولا تزال البشرية ، بل وستظل تعرف الأدب الحى في آثار الشعراء وكتاب المسرحيات والقصص والتراجم في الشرق والغرب ! أولئك الذين يعملون بالهامهم وعبقريتهم على تصوير الحياة وتجميلها وإصلاحها ، والسير بها في سبيل الحق والخير والجمال . وسوف تختلف السبل وتتشعب ، ولكن الأدب الرفيع سيمظل على المدى حياً ، لأنه ضرورة من ضرورات الحياة للإنسان ، كالطعام والكساء والمأوى ، وليس لونا من ألوان الترف التى تقوم الحياة بدونها .

ولقد أودع الله في كيان رجل الأدب قوة هائلة و طاقة مؤثرة ، فهو ليس بالإنسان العادى ، الذى ينفذ إلى هذه الدنيا ليحيا فيها حياة البشر العادية من طعام وملبس وتناسل ، وإنما هو بشر ممتاز قد عهد اليه القدر بمهمة جليلة ، ولعل كارليل لم يعد جانب الصدق والحق عندما ذكر في كتابه (الأبطال) أن الله سبحانه وتعالى قد عهد إلى الشاعر الأديب برسالة لا تقل عن رسالة الأنبياء . ولقد صور كارليل دانتى وشكسبير في صورة بطلين من أبطال البشرية ، لأنها أحدثا في العالم من الآثار وخلدا من الأفكار مالا يقل عما أحدثه فيها الأنبياء . أو ليست رسالة النبوة هى رسالة الخير والحق والجمال ؟ بلى ، وهذه هى رسالة الأديب الحق ! وعندى أن الأديب الجدير بهذه التسمية سواء أكان شاعراً أم قصصياً أم كاتباً ناقداً ، إنما يكتب ما يريد كتابته وكأنما هو وحى يوحى إليه ، ولن نجد أديبا يكتب عند الطلب ! أو يؤمر فيلجى فور ساعته !

وكلنا نعرف عن يقين أن الأدب نشأ وترعرع قبل أن يعرف الإنسان المطبعة
بدهور طوال ، بل لقد شهدت الانسانية ازدهار الأدب ونماءه عن طريق الرواة
والحفاظ الذين صانوه في الصدور وحفظوه في الضمائر حذر البلى والضياع ،
ثم شهدت تلك الأجيال المتتابة من الكتاب والنساخين الذين دونوا الروائع
وكتبوها على الأحجار والأخشاب وفي الرقاع المصنوعة من جلود الحيوانات
وأوراق البردى وسعف النخيل ... فلهؤلاء الرواد من حفظة الأدب ونساخيه
ألف تحية وسلام .

ونحن نعرف تلك الثورة الثقافية الهائلة التي أحدثتها مطبعة جوتنبرج ،
والتي لم تبدأ في صورتها الحقيقية الصادقة إلا بعد فترة من الزمن طويلة ، لأن
ذلك الاختراع العجيب الجديد الذي أسعد البشرية كما قال برتراند رسل بحق في
كتابه Unpopular Essays كان أول الأمر نادرا وعسير التداول ، في حين
كان النساخ المتمرسون يزاولون مهامهم الثقافية على أدق صورة وأكملها في
حدود إمكانياتهم وطاقاتهم .

والمهم في هذا الصدد أيها الأخوان أن الصحافة جاءت ثمرة متأخرة من ثمار
المطبعة . ولست أريد في هذا المقام أن أذهب مذهب أولئك الذين غالوا في تقصي
تاريخ ظهور الصحافة فادعوا أنها وجدت عند الرومان قبل ميلاد المسيح أو عرفها
أهل الصين في القرن السادس الميلادي ، وإنما أود أن أجعل حديثي هذا إليكم قاصراً
على الصحافة الجديدة بهذا الاسم ، الصحافة التي يمكن اعتبارها الأساس الحقيقي
لما نألفه اليوم من تلك الدوريات التي تظالنا في موعد مضروب ، صباحا كان أم
ظهراً أم عصرآ أم مساء ، أم أسبوعياً أم شهرياً ، أم دورياً كل ثلاثة أشهر أو
نحو ذلك . ولعل أول الصحف الجديدة بهذه التسمية هي صحيفة
La Gazette de France وقد أصدرها - كما تقول دائرة المعارف الفرنسية (لاروس) -
الطبيب المؤرخ الرحالة الفرنسي البروتستنتي Theophraste Renoudot ثيوفراست

رينودوت في عام ١٦٣١ . وكانت هذه الصحيفة أسبوعية ، صدرت أول الأمر في أربع صفحات. ثم زيدت صفحاتها إلى ثمان ، وكانت تنشر أنباء فرنسا الداخلية كما كانت تنشر الأنباء الخارجية.

ولما كان ريشيليو الدكتاتور الفرنسى هو الذى صرح بإصدار هذه الجريدة ، فقد اعتبرت لسان حال الحكومة . فلما كان عام ١٦٦٥ صدرت جريدة Le Journal des Savants أى صحيفة العلماء ، ثم صحيفة Le Mercure وكانت تعنى ببحوث فى الموسيقى والأدب والأغاني والشعر وأخبار الزواج . ولم يكبد يبلغ القرن السابع عشر نهايته حتى ظهرت الصحف بأنواعها المختلفة : السياسية والأدبية ولم تكن بينها جريدة يومية . وشهد عام ١٦٧٧ مولد أول جريدة يومية فى فرنسا وكان اسمها Le Journal de Paris وظهرت أول صحيفة يومية فى إنجلترا عام ١٨٠٠ وكان اسمها The Daily Crown

وشهد القرن التاسع عشر تلك النهضة الصناعية الجبارة فى القارة الأوروبية ، وكان من آثارها أن اخترعت آلات حديثة للطباعة ، فى وسعها طبع عدة آلاف من النسخ ، وقد كتبت جريدة « التيمس » فى عددها الصادر بتاريخ ٢٨ نوفمبر سنة ١٨١٤ مقالا فصلت فيه الحديث عن ميزات المطبعة الجديدة . واخترع فى هذه الآونة نفسها حبر الطباعة فى فرنسا ، كما اخترع التصوير الصحفى وظهرت الصحف المصورة ، وسهلت المواصلات بعد اختراع القاطرة والتلغراف والتليفون وورق الصحف . وترقب على ذلك كله ازدهار صناعة الصحافة . وبيع نسخها فى الأسواق ومناداة الباعة عليها وقد كانت من قبل قاصرة على المشتركين . ثم ظهرت الصحافة الأمريكية بقوة ملموسة وإدارة مالية موفقة ، عندما أصدر (جوردون) عام ١٨٣٥ جريدة The New York Herald . وقد ظهرت فيها التحقيقات الصحفية لأول مرة .

لاشك أننا نعرف هذا كله ، كما نعرف أن مصر شهدت الصحافة لأول مرة

على يد حملة نابليون في عام ١٧٩٨ عندما جلب القائد الفرنسي مطبعته لخدمة أهداف حملته في وادي النيل ، وذلك بأذاعة المنشورات والبيانات على الشعب المصري ، ولكن نابليون البعيد المطامح سرعان ما أصدر جريدتين فرنسيتين بمصر إحداهما لو كوريير دو لييجيت Le Courrier de L'Egypte والثانية La Decade Egyptienne . فلما جاء محمد علي إلى مصر أصدر أول جريدة عربية رسمية هي (الوقائع المصرية) وذلك في ٢٥ جمادى الأولى عام ١٢٤٢ هـ ثم شهدت مصر مولد أول جريدة شعبية (غير رسمية) في عام ١٨٥٧ م وكان اسمها (السلطنة) ، ثم صدرت جريدة (وادي النيل) في عام ١٨٦٦ و (الأهرام) في عام ١٨٧٥ .

وتقدمت الصحافة من بعد ذلك في طريق الازدهار ، باعتبارها فنا وصناعة ، حتى صارت لها مكائنها المرموقة اليوم .



يتأكد لنا مما تقدم أن الأدب قد سبق الصحافة إلى هذا الوجود ، وأنه كان ولا يزال دعامة قوية من ألزم دعائم الحضارات العالمية الباقية . ونحن نعرف جميعاً أن الصحافة صناعة كانت ولا تزال تعتمد على الأدب ، بل تفاعلت مع الأدب تفاعلاً قوياً ، وامتزجت به امتزاجاً عميقاً . ولا يغرب عن بالنا جميعاً أن الصحافة قامت أول ما قامت على كواهل الأدباء ، وكانت في مراحلها الأولى تقوم على الأدب وبالادب ، فما من أديب جهير في الشرق والغرب إلا وكانت له صلة بالصحافة ، بل لعلنا لنعزو الحقيقة إذا قلنا إن الصحافة ربيبة الادب وصنيعة ، ولكنها لم تلبث أن اتخذت لنفسها شخصية جديدة ، منبثقة من طبيعة وظيفتها ومهمتها وتكوينها . فهي تصدر دورية ، وهي تتناول أخبار الناس وألوان نشاط الحياة الواقعية على اختلافها من اقتصادية واجتماعية ، ومن حوادث سعيدة وشقية ومن حروب وكوارث واختراعات ومشروعات .

ولما كانت أنباء الناس والحياة معين لا ينضب ودولاب لا يكف عن الدوران ،
لذلك كانت عجلة الصحافة سريعة الدوران ، أو لعلها آلة فوتوغرافية تلتقط
صور الأشياء كما هي وبسرعة بالغة ، ثم هي مكلفة بالصدور في موعد محدد ولا بد
أن تدور آلات طباعتها في لحظة محددة ، وهذا كله من شأنه أن ينأى بها عن
التصور والتفكير الأدبي ، الذي ينطبع عادة بالتأمل والتقصي والتأني وتقليب
وجهاً النظر وتمحيصها ، ويمتد العجلة والاندفاع ، وهكذا باعدت ظروف
الصحافة ومهام وظيفتها ، بينها وبين الأدب ، وجعلها تبدو في صورة جد
مختلفة عن صورة (العمل الأدبي) المؤلف .

قدمنا أن كثيراً من أهل الأدب أعانوا الصحافة في مراحل تدرجها
الاولى ، وأخذوا بيدها في طريق التقدم والتماء . فعلوا ذلك في مختلف بقاع العالم
المتمددين ، وفعلوا ذلك في مصر بوجه خاص . فمنذ تولى الأدب على رفاهه
الطهطاوى رئاسة تحرير (الوقائع المصرية) ، انخرط معظم أئمة الأدباء في سلك
الصحافة ، ومنهم أديب اسحاق وجورجي زيدان والمويلحي والمنفلوطى
وفارس نمر وصروف خليل مطران وحسين هيكل والمازنى والعقاد والرافعي
والجميل وتوفيق دياب وحافظ عوض وطه حسين واحمد حسن الزيات واحمد أمين
وتوفيق الحكيم وزكى عبد القادر وعادل الغضبان . . الخ

واسكن يجدر بنا القول بأن مساهمة أدبائنا الكبار في عالم الصحافة كانت
قاصرة على تدبيج المقالات الرئيسية أو البحوث الأدبية الباهرة أو شن الحملات
النقدية البارعة ، أو نقصد الكتب وعرض الآثار الأدبية ، أو تحرير القصص
القصيرة ، في حين أن مهمة الصحافة كما نعرفها اليوم ، أصبحت — كما أسلفنا —
أوسع من ذلك بكثير ، فهي تتناول نشر أنباء الأدب ، بوصفها أنباء تهم فريقاً من
قراءها العديدين ، كما تتناول أخبار الموظفين وترقياتهم وتأمين حياة العمال وترقية
أحوال الزراعة والتجارة والصناعة الخ .

ومن ثم يتبين لنا أن أنباء الادب — ولا نقول الادب نفسه — أصبحت جزء محصوراً من المهمة التي تقع على كاهل صحافة اليوم ، بل إن صحافة اليوم أضحت لاتعنى إلا باليسير السهل والعابر الضحّل من أمور الادب ، اللهم إلا إذا تخصصت الصحافة في الادب وتوسعت فيه وافتتحت عليه دون سواه من المباحث !

ولقد شهدنا في مصر مولد كثير من الصحف الادبية المتخصصة : شهدنا الهلال والمقتطف والبيان والبلاغ الاسبوعي والسياسة الاسبوعية والفصول والصبحاح ومجلة النهضة الفكرية لصاحبها الاديب العالم الدكتور محمد غلاب وقد كتبت فيها وأنا طالب ثانوى ، بل وشاهدنا في عام ١٩٣٢ مولد أول مجلة متخصصة في شؤون الشعر ونقده ألا وهي مجلة (أبولو) التي أصدرها الاديب المصرى الكبير الدكتور احمد زكي ابو شادى نزيل أمريكا اليوم ولقد كان مولد مجلة (أبولو) بشيرا بنهضة أدبية وفكرية كبيرة ، واستطاعت أن تجذب إليها الانظار وجعلت خواطر الادباء والمتأدبين تتجه إليها ، ولم تمض سنة على صدورها حتى تشجع الاستاذ الزيات وأصدر مجلة (الرسالة) لسانا للجنة التأليف والترجمة والنشر ، فكانت أول مجلة أدبية أسبوعية عامة ، أحييت أيام البلاغ الاسبوعي والسياسة الاسبوعية والحق إن النشاط الادبى بلغ أوجه في تلك الآونة ، ثم أصدر الدكتور محمود عزى مجلة (الشباب) الاسبوعية للادب والفكر والتعليقات الناضجة ، وتلتها مجلة (الاسبوع) الأدبية الفنية لصاحبها الأستاذ ادوارد عبده وجريدة (منبر الشرق) لصاحبها الشاعر المجاهد الشيخ على الغايانى ، وكان من آثار هذه النهضة الفكرية أن أقبل القراء على المجلات الأدبية يشجعونها ويؤازرونها . فلما كان مطلع عام ١٩٣٩ صدرت مجلة (الثقافة) لسانا لجماعة التأليف والترجمة والنشر ، بدلا من مجلة (الرسالة) ، التي استقل بها صاحبها الاستاذ الزيات . وتولى رئاسة تحريرها الدكتور احمد أمين . وكان بين كبار كتابها الاستاذ الدكتور أحمد زكي والاستاذ محمد فريد ابو حديد والدكتور عباس عمار والدكتور محمد عوض محمود وآخرون

وهكذا شهدنا في مصر حركة أدبية وفكرية مباركة ، غير أن اشتعال الحرب العالمية الثانية في أول سبتمبر عام ١٩٣٩ جعل المجلات الأدبية تنكمش وتتضاءل بعض الشيء ، كما جعل الصحف اليومية تؤثر أبناء الحرب وتطورات المعارك على أخبار الأدب والفكر . فلما بدأت المعارك تتكشف عن قرب انتصار الحلفاء على الألمان ، بعد نزول قوات إيزنهاور في بلاد المغرب الأفريقي ، أصدر الأمريكان طبعة عربية لمجلتهم الشهرية المعروفة باسم Readers Digest وجعلوا الأستاذ فؤاد صروف رئيساً لتحريرها . وصدرت تلك الطبعة العربية باسم (المختار من ريدرز دايجست) . ولا مراء في أن صدور (المختار) في تلك الآونة الكئيبة الكاوية قد أنعش الحركة الفكرية بعض الشيء . ، وقد استهدفت المجلة نشر الآراء والأفكار الأمريكية ، المنطوية على الروح العملية . ومع ذلك فإن النجاح المبذول الذي صادفه ظهور هذه المجلة نتيجة لحالة الحرب القائمة لم يستمر طويلاً . ولم تكد تنته الحرب حتى صدرت مجلة شهرية أخرى باسم (الكاتب المصري) وتولى رئاسة تحريرها الدكتور طه حسين . وعاونته فيها الأستاذ حسن محمود ولقد بذلت هذه المجلة المحاولة الثانية — بعد محاولة المختار — لكي تطعم الأدب العربي بالفكر العالمي وكان ينبوع الفكر العالمي في هذه المرة هو الينبوع الفرنسي . ولقد اصطلحت عناصر مختلفة على قتل (الكاتب المصري) وهي بعد في مهدها . وأخيراً صدرت مجلة (الكتاب) شهرية أدبية عربية خالصة عن (دار المعارف) . وتولى رئاسة تحريرها الأستاذ عادل الغضبان ، ومع ذلك فقد اضطرت أخيراً إلى الاحتجاب رغم تحريرها الجودة والنهوض بالأدب العربي الحديث . أجل اضطرت للاحتجاب كما احتجبت من قبل الرسالة والثقافة واقتطف ، وكما احتجبت من قبلها أبولو والسياسة الأسبوعية والبلاغ الأسبوعي والأسبوع .

وهكذا لم يبق في ميدان الصحافة الأدبية في مصر سوى مجلة (الهلال) الشهرية وحتى هذه تطورت كثيراً وأدخلت على تبويبها تعديلات تكفل لها أسباب الحياة في هذا المعترك الصاخب وكذلك كان حال مجلة الفصول .

هذا ما كان من شأن الصحافة الأدبية في مصر اليوم ، وهانحن أولاء نتلفت حوالينا في لطفة لنرى أن الأدب الحقيقي الجدير بهذه التسمية غير ممثل أو موجود في الصحافة المصرية العادية ، علي الصورة التي ينبغي أن يكون عليها . صحيح أن الصحف تنشر المقالات والابحاث والقصص ، وتنقل إلى العربية الكثير من آراء مفكرى الغرب ، ولكن الأديب المصرى يشعر صادقا أن مكان الجريدة الأدبية الخالصة لا يزال شاغراً . وحرام وألف حرام أن يظل مكان الجريدة الأدبية شاغراً في عام ١٩٥٤ وبعد هذه الثورة المصرية الباهرة التي كان الأدباء المصريون روادها وطلائعها .

صحيح أن بعض الأدباء الأعلام يكتبون للصحافة اليومية ، ولكن هذه الصحافة اليومية — وليعذرني إخواني الصحفيون — تطلب أن يصلها الانتاج الأدبى سريعاً وسهلاً و (مسلوفاً) ، وإلا فهي غير راضية وساخطة . « والأديب — كما يقول الدكتور طه حسين في بحث نشرته له « الجمهورية » الغراء في ملحقتها الأسبوعية الصادر يوم ٥ فبراير سنة ١٩٥٤ — لا بد له من أن يروض نفسه ويسوسها حتى تألف الجهد والعناء والمشقة . وترى أنها أيسر ما يجب لانتاج الأدب الرفيع الذى يستحق وحده أن يسمى أدبا . ومقاومة للحاجات الكثيرة العاجلة المزدهمة » ، إلى أن يقول : « ولا على الأديب أن يفضب أصحاب المطبعة إن أبطأ به الانتاج عما ضربوا له من موعود ! ذلك كله خير له من أن يتمجل فيرضى الصحيفة والمطبعة ويسخط الفن ويفسد أدبه ، وقد يفسد معه ذوق كثير من القراء ! وهنا تنكر الصحف وتثور ، فهي لا تستطيع أن تنتظر الأدب حتى يتم نضجه ، ويصبح نشره شيئاً لا حرج فيه . فمن أراد أن يكتب لها على شرطها فليفعل . ومن أبى إلا أن يكتب على شرط الأدب فليتمس لنفسه مذهباً آخر من مذاهب النشر ! » .

هذا بعض ما قاله الدكتور طه حسين في مقاله . وأحسب أنه إنما كان يناجى نفسه بما صارح به القارئ . فهو نفسه مشغول بالنشر في الصحف اليومية التي

لا ترحم لأن مطابعتها الحديدية الفؤاد تطلب المواد في موعد محدد . ومحال أن ينتظر الأديب المفكر حتى ينزل عليه الوحي والالهام . ولا ريب في أن الأديب الصحيح مخرج . فإذا شاء أن يكتب على شرط الأدب — كما قال الدكتور طه حسين — والنفس لنفسه مذهبا آخر من مذاهب النشر . فلا معدى له عن أن يكتب لمجلة أدبية . وما دام الأدب لا يجد في هذه الآونة مجلة ترضى بشرط الأدب كما قال الدكتور . فلينتظر الأديب حتى يصدر إنتاجه في كتب مستقلة .



ومحنة الصحافة الأدبية تدفعنا إلى الحديث في أسبابها ودواعيها . ولعل السبب الرئيسي في أفول نجم الصحافة الأدبية هو أن الجرائد اليومية في أيامنا هذه تعود القراء أن يطلعوها كل بسيط سهل من الآراء والأفكار . وهي تغالي في هذا المضمار فتشتر مقالات ربما أدت بالقارئ إلى لون من الجحود الفكري والتبطل الذهني . بل لعل يوما قريباً يأتي ونرى فيه القراء لا يبذلون أي جهد حقيقي لفهم ما يطالعون . نعم إن قراءنا يمشون بعيونهم مروراً سريعاً عابراً على صفحات الجرائد اليومية وكأنهم يشهدون فيلماً سينمائياً مرفهاً . دون أن يبذلوا أي عناء حقيقي في سبيل فهم ما يطالعون . هذا هو السبب الأول . أما السبب الثاني لاضمحلال الصحف الأدبية فهو أن غالبية القراء قد استساغوا هذا التوجيه (السينمائي) من الصحافة دون التوجيه المركزي ، فهم يخشون أن يتعبوا أنفسهم بعد أن أفسدت بعض الصحف أذواقهم . ولم يعد لهم قبل بالقراءة الدسمة . أما السبب الثالث لهبوط الصحافة الأدبية وموتها فيرجع إلى بعض محرريها الواسعي المطامع البعيدي المطامع . وإن كانوا لا يستندون إلى أساس متين من الثقافة العامة . كما يقول بحق الأستاذ فؤاد إفرام البستاني عميد الجامعة اللبنانية في حديث له مع مجلة الهاتف العراقية نشرته الصحيفة أخيراً « فإذا

نخصص أحدهم في تحرير زاوية الأدب مثلاً ، أحس أن من واجبه أن يتحدث إلى قرائه عن الأدب الفرنسي أو الإنجليزي . وقد لا يكون متصفاً بشيء منها . فيكتفى بنقل قطعة عن اللغة الأجنبية التي يعرفها على غير تعمق . فيعرض بضاعة أجنبية الأصل ، ولكنها فاسدة النقل ، فإذا اطلع عليها أحد العارفين عزف عنها ، بل وعزف عن المجلة بكاملها واحتقرها .

هذا بعض ما يقال عن الصحافة الأدبية التي نريد أن نملأ مكانها الشاغر عن جدارة واستحقاق في القريب العاجل .

ومهما يكن من أمر فإن الأدب الصحيح لا يزال يؤلف — كما قدمنا — عنصراً هاماً من عناصر الصحافة العادية . ولكن الصحافة العادية كما نعرفها اليوم ليست أدباً ، والمتصدى للعمل في الصحافة اليوم حقيق بأن يجمع إلى الأدب ضروباً أخرى من المعرفة ، وأفانين من الخبرة والدراية بالناس والأشياء والأحداث التي تدور من حوله والمجتمع الذي يعيش فيه ويضطرب ! ويجب أن يكون بعد ذلك كله وقبل ذلك كله موهوباً تلك (الملكة الصحفية) التي يستطيع بها أن يلفت أنظار قرائه إلى ما يريد قوله !

وليس للصحفي الجدير بهذا الاسم مجال للتخصص كما هو حال الأديب ، وإنما يتخذ الصحفي من كل ما يعرض له من موضوعات وأبناء مادة لعمله الذي لا ينقطع ولا ينتهي .

وقد صدق المرحوم الأستاذ عبدالقادر حمزه (باشا) حينما قال في وصف الصحفي : إنه مطالب بأن يكون حاضر البديهة ، حاضر الجواب على كل ما يدعى لأن يكتب فيه ، وهو في كل ذلك لا يختار — كما يفعل الأديب — بل الحوادث هي التي تختار له كل يوم ألواناً جديدة ، وتدعوه لأن يتجه إليها ، وينتهي الأمر بهذا الصحفي إلى أن يتسع أفق الأدب والعلم والخبرة عنده ، فيكون وكأنه الموسوعة ، بينما يكون الأديب بجانبه وكأنه كتاب في فن معين .

هذا ما يقوله الصحفي الكبير عبد القادر حمزه في التفريق بين الصحفي والأديب . وعلى الجملة فإن الأدب هو الذي يعد للصحافة جنودها وقادتها . كان ذلك حاله ولا يزال ، بل وسيظل كذلك على طول المدى . صحيح أن للصحافة دراسات حديثة متوسعة لا بد أن يلم بها الصحفي المبتدى ، ولكن ذلك الصحفي المبتدى ، لا بد أن يكون في الأصل أديباً مثقفاً . بل نذهب إلى أبعد من هذا فنقول إن الصحافة العادية المعروفة لنا اليوم نوعان : صحافة رأى ، وصحافة خبر وصحافة الخبر قد تستغنى عن الأديب أما صحافة الرأى فلا مفر لها من استخدامه ولا يزال معظم كتاب صحف الرأى في مصر والعالم من كبار الأدباء والمفكرين . يقول الصحفي الانجليزى المعروف « ويكهام ستيد » : المعروف أن الجريدة تعتمد على الجمهور وتتوقف حياتها عليه . ولذلك يجدر بها العناية بنشر الأصلح ، بطرق ممتعة جذابة تجعل الجماهير تتذوق ما تقرأه وتستوعبه . وليست الصحافة النافعة المجدية إلا كالسكر الذى يغطى حبة ، ربما لا يستساغ طعمها ولو كانت بدونه ، بل إن الصحافة المجدية تشبه أكثر ما تشبه الطعام الذى يعمده طاه قدير . يستطيع أن يتفنن في المواد التى يستخدمها في إعداد ذلك الطعام : بطريقة تجعل ما يقدمه منه شهياً ومغذياً ولذيذاً .

والفرق بين الصحفي والأديب هو أن هذا الأخير يختار مواده ، ثم يعدها كما يعد الطعام بالطريقة التى تلائمه ، فاذا رغب الجمهور عما يقدمه الأديب إليه ، ولم يشتر كتبه ، عادت الخسارة على الأديب وحده ، أما الصحفي فعليه أن يستعمل المواد التى ترد إلى سوق الأخبار يوماً بعد يوم ، فإن أساء استعمالها خسرت الجريدة عدداً من القراء ، وضاعت دائرة ذبوعها وانتشارها . ومن ثم يجب على الصحفي أن يفكر دائماً في جريدته ، وفي الطرق التى تمكنه من خدمتها وتميزها ...

ولا نسكران في أن الصحافة مرآة للتقدم العلمى والفكرى ، فلقد عاونت على تطوير كثير من الرموز والمعانى الأدبية القديمة . مستعينة بالعلم ومستحدثاته

في هذا السبيل كما أشارت إلى ذلك صادقة المفكرة الأمريكية سوزان ك. لانجر
Susanne K. Langer في كتابها الثمين «الفلسفة في ضوء جديد Philosophy in
a new key

أجرى المفكر الفرنسي الفيكونت دافنل حواراً طريفاً بين جريدة وكتاب .
وجعل الكتاب يقول للجريدة (*) : —

إنك تنعمين بمئة ألف قارئ، ولكنك لا تمسكين إلا ساعة واحدة في يد
القارئ، ثم لا يلبث أن يمزقك ويلقي بك أو يجعل منك غلافاً لبعض حاجياته ،
وهكذا تختفين دون أن تتركي أثراً !

فاجابت الجريدة بقولها : أعترف لك أيها الكتاب بأنك تعمّر أكثر مني
ولكنك تعيش في عالم الظلام والفسيان ، وأنا أفضل حياة يوم أراه مشرقاً زاهياً
على مائة عام تقضيها أنت مجهولاً مهملاً على الرفوف التي يعلوها التراب .
وهذا قول ظاهر التحيز دون ريب للصحافة .

والواقع أن الكتب تعيش وتعيش وتخلد معها الأفكار البشرية والثقافة
العظيمة . حتى وإن علاها التراب وغطاها نسيج العنكبوت . وهي بما يملوها
من غبار السنين ، تعتبر الأساس المسكين الذي تنهض على كواهلها وتقوى الصحافة
يوماً بعد يوم .

والمؤكد أن بعض الكتب الخالدة العظيمة قد كوّنَت الكثير من الشخصيات
الكبيرة التي خلدت في التاريخ . وروى عن (جون شارب) قوله : « لقد
جعل مني شكسبير والانجيل رئيساً لأساقفة يورك » .

(*) قلنا هذا الحوار مختصراً من كتاب « الصحافة والصحف » لمؤلفه المرحوم الصحفي
المعروف الأستاذ عبد الله حنين .

واعترف المازني رحمه الله في مقال كتبه بجريدة «البلاغ» في غضون عام ١٩٣٤ بمناسبة ظهور كتابي «رواد الشعر الحديث في مصر» بأن عبد الرحمن شكري الشاعر الكبير قد وجهه لقراءة شكسبير ووردسورث وشعراء البحيرة ، كما وجهه لمطالعة المتنبي والبحتري وابن الرومي والمعري فكان لذلك التوجيه أعظم الأثر في مؤتلف حياته الأدبية .

هذا بعض ما عرفه عن الكتب التي كوَّنت وتكون الرجال . ولكننا لم نسمع برجل كوَّنته الصحف السيارة وجعلت منه شيئا مذكورا . بل على النقيض من ذلك . نرى بعض الصحف الصفراء يسيء إلى الشباب ويردعهم عن الطريق السوي . ولقد صرح منذ سنوات (شستر لورد) المحرر المعروف بجريدة (نيويورك صن) بأن « قراءة المجلات الاستعراضية لمجرد التسلية لا للعلم أو تغذية العقل وتنمية الوجدان كان لها أكبر الأثر في انحطاط الأخلاق في أمريكا » .

وهذا الذي قاله الكاتب الأمريكي الجهر حق وصدق فبعض الصحف الصفراء أفسد الأخلاق في أمريكا واقتدت به طائفة من الصحف في كل البلدان ، حتى أصبحت الشكوى من هذه الحال شكوى العصر الراهن في كل مكان . ولا نجاة لنا من ذلك كله إلا بالتمسك بجبل الأدب والثقافة العالية وهو جبل النجاة والخلاص الذي لا ريب فيه

(*) أثار هذا الكتاب عند صدوره ضجة عظيمة في الجو الأدبي وتناوله المازني والمقاد وشكري وغيرهم بالنقد والتعقيب .



للمؤلف

- (١) - هارة الأسرة - قصة للكاتب الخالد ليوتولستوى (نقدت)
- (٢) - رواد الشعر الحديث في مصر (دراسة نقدية أدبية) (نقد)
- (٣) - الزورق الحالم (الجزء الأول من ديوان شعر المؤلف) (نقد)
- (٤) - علمتني الحياة : بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد أمين

تحت الطبع

- (١) تاريخ الصحافة العربية في مصر من سنة ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٥٠
على ضوء الأحداث السياسية ، وهذا المبحث هو موضوع رسالة
الدكتوراه في الآداب من جامعة (إكس آن بروفانس) الفرنسية ،
وسيفيظهر بالعربية والفرنسية معا
- (٢) تلخيص الشيطان (مسرحية للكاتب العالمي جورج برنارد شو عربيها
المؤلف ، ومثلت على مسرح الأوبرا المصرية)
- (٣) زورق الهملم (الجزء الثاني من ديوان شعر المؤلف)
- (٤) صور سريعة (مجموعة من الأبحاث والدراسات الاجتماعية
والسياسية والأدبية) .

BETWEEN

Literature and Journalism

By

Dr Moukhtar EL Wakil

(A Lecture Given on the 16 th of February 1954,
in the Program of the League of Modern literature, Cairo.)

Author's Address
Dr, Moukhtar EL Wakil
Cultural Department
League of Arab States
102 Sh. Farouk Agouza
Dokki Cairo (Egypt)